يسوع المسيح في إنجيل متى

الأب نجيب ابراهيم الفرنسيسكاني

لوحة للفنان " كارافاجيو "
تصور متى الإنجيلي يكتب بوحي الله

الإنجيل حسب متى هو إنجيل الكنيسة بامتياز. ليس فقط لأنّه أول أسفار العهد الجديد، بل لأنّه استُعمل بشكل مميّز في الكنيسة، فصار الوثيقة التي تربط جذورها بكلمة يسوع: كنيسة مبنية على الصخر ولا تقوى عليها أبواب الجحيم. عظة يسوع على الجبل والتطويبات وصلاة الأبانا هي من كنوز العهد الجديد الأكثر شهرة بين المؤمنين. أضف الى ذلك بنيته الواضحة المعالم مما ساهم في جعله أداة تعليم أساسية في الكنيسة.

تعليم متى

يتميّز إنجيل متى ببنية خاصّة وبالتالي بتعليم مميّز. فالاختلاف بين الأناجيل الأربعة يعبّر عن قصد لاهوتيّ خاصّ يكمّل الواحد ما في الأناجيل الأخرى. متى هو واحد من الأناجيل الإزائية الثلاث، متى ومرقس ولوقا. دُعيت بالإزائية لأنّه باستطاعتنا قراءتها بالتوازي، حسب مراحل أساسية واحدة: رسالة يوحنا المعمدان ومعمودية المسيح في نهر الأردنّ، رسالة يسوع في الجليل واعتراف بطرس بالمسيح والتجليّ، صعود يسوع إلى أورشليم ورسالته في المدينة المقدّسة وآلامه وموته وقيامته. نجد هذه المراحل الأساسية في مرقس، الإنجيل الأول من الناحية التاريخية، كما نجدها أيضاً بنفس الترتيب في متى ولوقا. بينما يختلف إنجيل يوحنا عن هذه الأناجيل الإزائية لناحية سرد بعض الروايات، خاصة في ما يتعلّق بصعود يسوع إلى أورشليم فيخبرنا عن رسالته وأعماله في المدينة المقدّسة حتى في بدايات الإنجيل.

رغم هذا التشابه الأساسيّ في سرد الأحداث لدى الأناجيل الإزائية، يتميّز كلّ منها بطابع خاصّ، بنظرة مميّزة على سرّ المسيح. هذا ما نريد تبيانه في هذا المقال. لدينا في متى مادة جديدة نسبة الى مرقس، عدى ما هنالك من اسلوب خاص في سرد الاحداث وبعض النصوص.

أولاً إنجيل الطفولة في الفصلين الأولين من الإنجيل، والذي يتضمّن نسب يسوع ومن ثمّ خمسة أحداث في طفولة يسوع: حبل مريم بيسوع المسيح من الروح القدس، الميلاد في بيت لحم وسجود المجوس ليسوع، الهرب الى مصر، استشهاد أطفال بيت لحم والإقامة في الناصرة. زيادة هذه المادة في متى لا تعني مجرّد اكمال سيرة يسوع بل تعبّر عن قصد لاهوتيّ في سرّ شخص المسيح. تسلّط رواية الطفولة الضوء على كلّ حياة يسوع من خلال نظرة خاصّة في شخص المسيح. ولنا في هذا الموضع عودة في مرحلة لاحقة.

ثانياً يتميّز إنجيل متى بمجموعة من أقوال يسوع في خمس عظات كبيرة تتعاقب بين رواية الأحداث: عظة الجبل حيث يرسم يسوع صورة تلميذ الملكوت (متى ٥-٧)، العظة الرسولية (متى ١٠)، عظة يسوع بالامثال التي تكشف عن طبيعة الملكوت (متى ١٣: ١-٥٢)، عظة يسوع عن الحياة الأخوية في الكنيسة (متى ١٨) والعظة في الأمور الأخيرة التي توجّه الكنيسة بالرجاء نحو التحقيق الكامل لملكوت السماوات (متى ٢٤-٢٥). يسبق هذا الأخير جدال يسوع مع الفريسيين في فصل طويل (متى٢٣) ينوّه عن العلاقة الصعبة التي نشأت بين الكنيسة والمجمع اليهودي بعد سنة ٨٠ م. في ذلك الوقت انعقد مجمع يهوديّ في يمنيا (قرب اللّد) الذي كان من بين قراراته فصل المسيحيين نهائياً من المجمع. يعبّر يسوع بشكل حازم من خلال هذا الجدل مع الفريسيين عن هوية تلميذه.

فلمَّا رأَى الجُموع، صَعِدَ الجَبَلَ وَجَلَسَ، فدَنا إِلَيه تَلاميذُه فشَرَعَ يُعَلِّمُهم (متى ٥: ١)

ثالثاً خصوصية رواية متى

يستعمل متى كلمات خاصّة تعبّر عن جاذبية يسوع، ليشدّ كلّ الأشخاص نحوه كالسيّد. ليس يسوع في مركز الرواية وحسب بل يحرّك ويجذب إليه مختلف الأشخاص: التلاميذ، المرضى، الجموع، الفريسيين والصدّوقيين، الملائكة والشياطين. هناك عدة أفعال تعبّر عن هذا الأسلوب الروائي، نذكر منها فعل "أتى" و"تقدّم" الذي يستعمله متى ٥٢ مرة، بينما في مرقس يرد ٥ مرات وفي لوقا ١٠ مرات. نقرأ على سبيل المثال بعض الآيات. عندما صام يسوع في البرية، يقول متى: «دنا منه المجرّب» (متى ٤: ٣). وفي نهاية الرواية يقول متى: «وإذا بملائكة قد دنوا منه وأخذوا

يخدمونه» (متى ٤ : ١١). بالمقابل لا نجد هذا الفعل "دنا" في روايتي مرقس ولوقا عن صوم يسوع في البريّة.

يستعمل متى فعل "سجد" ١٣ مرّة بمقابل مرتين فقط في مرقس ولوقا. نذكر هنا سجود المجوس للطفل يسوع في بيت لحم (متى ٢ : ٢ و١١). ويرد فعل "قدّم، قرّب" ١٥ مرّة في متى، مقابل ٣ مرات في مرقس وفي لوقا. قدّم المجوس الهدايا للطفل يسوع (متى ٢ : ١١) وأحضروا إليه جميع المرضى (متى ١٤ : ٣٥). وأخيراً نذكر فعل "تبع" الحاضر بكثافة في كل الأناجيل ولكن يزيد حضوره في متى : ٢٥ مرّة مقابل ١٨ في مرقس و١٧ في لوقا.

في ذلكَ اليوم خَرَجَ يسوعُ مِنَ البَيت، وجلَسَ بجانبِ البَحر. فازْدَحَمَت عليهِ جُموعٌ كَثيرة، حتَّى إنَّه رَكِبَ سَفينةً وجَلَسَ، والجَمْعُ كُلُّه قائمٌ على الشَّاطِئ (متى ١٣ : ١-٢)

تأتي هذه الأفعال بصورة يسوع السيّد في رواية إنجيل متى وهذا ما يمكن تبيانه أيضاً من خلال بداية ونهاية الإنجيل.

هوية يسوع في بداية الإنجيل وفي آخره

يبدأ إنجيل مرقس قائلاً أنّ يسوع هو المسيح ابن الله (مرقس ١ : ١). هذا عنوان الإنجيل ومضمونه الأساسيّ. بينما يبدأ متى بتقديم هوية يسوع البشرية، أي اليهودية : «ابن داود، ابن ابراهيم» (متى ١ : ١) وينهي إنجيله مع وصية القائم من بين الأموات للرسل : «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم. وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (متى ٢٨ : ١٩). في البداية يقدّم متى يسوع من خلال النسب وبالتالي من خلال علاقته بتاريخ الخلاص الذي كان يقتصر على شعب العهد القديم، بينما ينتهي الإنجيل بالرسالة الموجّهة الى كلّ الأمم ليظهر يسوع المسيح القائم من بين الأموات بصورة السيّد الذي يمنح الخلاص لكلّ الأمم بدون استثناء. حتى أنّ الرسالة الشاملة للكنيسة تختلف عن الرسالة المحدودة قبل القيامة، إذ قال يسوع للتلاميذ خلال رسالته على الأرض : «لا تسلكوا طريقاً إلى الوثنيين ولا تدخلوا مدينة للسامريّين، بل اذهبوا إلى الخراف الضّالة من بيت إسرائيل» (متى ١٠ : ٥-٦). فقط بعد القيامة تصل الرسالة الى كلّ الأمم، ليصبح يسوع ربّ الكنيسة، بل سيّد الكون.

هناك من قال أنّه باستطاعتنا قراءة هذا الإنجيل ابتداءً من نهايته، أي ترائي يسوع لتلاميذه في الجليل. إنّها النهاية التي تسلّط الضوء على كلّ الرواية.

هذا الانتقال من وجه معيّن ومحدود ليسوع إلى بعد شامل ومنفتح على الكون بأسره يبيّن اسلوب متى وبنية إنجيله، وبالتالي يساعدنا على اكتشاف وجه يسوع في هذا الإنجيل.

ولماذا يُهمُّكُمُ اللِّباس؟ إعتَبِروا بزَنابقِ الحَقْلِ كيفَ تَنمو، فلا تَجهَدُ ولا تَغزِل. (متى ٦ : ٢٨)

يسوع هو المسيح

أصبح هذا اللقب اسم علم ليسوع لدى الكنيسة الأولى. ولكن يعطي متى أهميّة خاصة لهذا اللقب في إنجيله. يرد لقب "مسيح" ١٦ مرة في متى و٧ في مرقس و١٢ في لوقا. يسوع هو المسيح لأنّه يحقّق كلّ مواعيد العهد القديم. يبيّن متى هذا الأمر بطريقتين:

أولاً: يسوع ابن داود

في بداية الإنجيل يقدّم متى يسوع قائلاً أنّه ابن داود. متى ٢ : ١-١٠ يروي كيف جاء المجوس الى بيت لحم ليسجدوا للطفل يسوع. عندما جاء المجوس يبحثون عن الملك الذي وُلد، سأل هيرودس عظماء الكهنة والكتبة عن المكان الذي يجب أن يولد فيه المسيح فقالوا له في بيت لحم اليهوديّة، فقد أوحي إلى النبيّ فكتب:

«وأنت يا بيت لحم، أرض يهوذا
لست أصغر ولايات يهوذا
فمنك يخرج الوالي
الّذي يرعى شعبي إسرائيل» (راجع ميخا ٥ : ١ و٢ و٢ صموئيل ٥ : ٢).

أهمّ ما في هذه الرواية هو التأكيد على الميلاد في بيت لحم، مدينة داود. ينفرد متى بالرجوع إلى نبوءة ميخا للكشف عن نسب يسوع الذي وُلد في بيت لحم لأنّها مدينة داود. يريد ميخا الرجوع الى جذور الملك الراعي فيذكر بيت لحم حيث مُسح داود ملكاً على إسرائيل (١صموئيل ١٦). الميلاد في بيت لحم هو كشف عن هوية يسوع ابن داود.

يذكر متى بوضوح وبكثافة أكبر نسبة إلى مرقس ولوقا لقب يسوع ابن داود: ٨ مرات في

متى، بينما مرتين فقط في مرقس وفي لوقا.

في بداية الإنجيل لدينا نسب يسوع: «نسب يسوع المسيح ابن داود ابن ابراهيم» (متى ١ : ١).

في متى نادى أعميا الجليل يسوع قائلين: «رحماك يا ابن داود» (٩ : ٢٧).

بعد شفاء رجل ممسوس أخرس دهش الجموع كلّهم وقالوا: «أتُرى هذا ابن داود» (متى ١٢ : ٢٢-٢٣).

والمرأة الكنعانية نادت يسوع بهذا اللقب (متى ١٥ : ٢٢)، وكذلك فعل أعميا أريحا (متى ٢٠ : ٣٠ و٣١). وفي رواية دخول يسوع إلى أورشليم نسمع هذا اللقب بفم الجموع والأطفال (متى ٢١ : ٩ و١٥).

جبل التطويبات
طوبى لِفُقراءِ الرُّوح
فإِنَّ لَهم مَلكوتَ السَّمَوات (متى ٥ : ٣)

على هذه النصوص يمكن إضافة بشارة الملاك ليوسف ابن داود (١ : ٢٠).

"ابن داود"، لقب له صدى معروف لدى الناس في ذلك الوقت، فكان لا بدّ أن يكون ذا طابع سياسيّ بعلاقته مع الملك داود وحكمي مع سليمان. ولكن الإنجيليّ متى يبيّن بُعداً مغايراً لهذا اللقب، لأنّه يظهر دائماً في سياق أشفية يقوم بها يسوع. ابن داود، حسب متى، هو الذي يشفي الناس من أسقامهم ومن كلّ شرّ.

يأتي يسوع، ابن داود، بحلّة الملك المتواضع وبدون أي ارتباط بالسياسة، كما يعبّر متى باستشهاده بنبؤة زكريّا (٩ : ٩)، والتي ينفرد بها الإنجيل الأول نسبة الى مرقس والى لوقا ويذكرها يوحنا بشكل مبسّط:

«ولمّا قربوا من أورشليم، ووصلوا إلى بيت فاجي عند جبل الزيتون، حينئذ أرسل يسوع تلميذين وقال لهما: اذهبا إلى القرية الّتي تُجاهكما، تجدا أتاناً مربوطة وجحشاً معها، فحُلّا رباطهما وأتياني بهما. فإن قال لكما قائلٌ شيئاً، فأجيبا: الرّبّ محتاج إليهما، فيُرسلهما لوقته. وإنّما حدث هذا ليتمّ ما قيل على لسان النبيّ:

«قولوا لبنت صهيون:
هوذا ملكك آتياً على أتان
وجحشٍ ابن دابّة» (متى ٢١ : ١-٥).

يسوع هو المسيح الملك المتواضع، الذي يريد أن يخلّص البشر من خلال تواضعه تحقيقاً للرسالة الموكلة إليه من الآب. يظهر من الأحداث التي تلت دخول يسوع إلى أورشليم أنّ رؤساء الشعب لم يفهموا سرّ يسوع وما كانوا على استعداد لتغيير منطقهم وعقليتهم البشرية. هذا ما نستشفّه من خلال جدال يسوع مع الفريسيين في ٢٢ : ٤١-٤٦. الحديث عن المسيح ابن داود الذي يدعو المسيح الموعود ربّا، حسب المزمور ١١٠، يبيّن أن المسيح ابن داود هو الرّبّ، الملك المتواضع الذي يريد الانتصار على الأعداء الحقيقيين لكلّ البشر: الخطيئة والشرّ والموت. لم يأتِ يسوع المسيح، ابن داود، ليخلّص الناس بمنحهم حرية سياسية زمنية، بل بالمصالحة والسلام من خلال الانتصار على الانانية، وعلى الانسان القديم الذي يريد أن يحقّق ذاته بعيداً عن الله وعن الاصغاء والطاعة لكلمته.

"عين جدي"
ومَن سَقى أَحَدَ هَؤلاءِ الصِّغار، وَلَو كَأسَ ماءٍ باردٍ لأَنَّه تِلميذ، فالحَقَّ أَقولُ لَكم إِنَّ أَجرَه لن يَضيع (متى ١٠ : ٤٢)

ثانياً: يسوع يحقّق مواعيد العهد القديم

يبيّن متى مسيحانية يسوع من خلال استعماله المميّز للعهد القديم. ليس بالأمر الجديد في الكنيسة الأولى كما يظهر في سائر كتب العهد الجديد. فالكنيسة الرسولية دأبت على فهم العهد القديم على ضوء الحدث الأساس، ألا وهو قيامة يسوع من بين الأموات. فتكوّنت منذ البدء نواة تقليد شفهي ومن ثمّ مكتوب عن علاقة حدث الفصح بنوع خاص بالعهد القديم: آلام وموت وقيامة يسوع من بين الأموات. ولكنّ متى يكتب بأسلوب خاص ليُظهر علاقة يسوع بمواعيد العهد القديم. يرجع متى إلى صيَغ تحقيق العهد القديم، لترافق كلّ الرواية. نذكر أولاً الصيغة الكاملة: «وكان هذا كلّه ليتمّ ما قال الرّبّ على لسان ...». وهناك أيضاً صيغة مقتضبة: «ليتمّ ما قال الرّبّ على لسان النبيّ ...». ترد هذه الصيغة ١٢ مرة في متى (١ : ٢٢؛ ٢ : ١٥ و١٧ و٢٣؛ ٤ : ١٤؛ ٨ : ١٧؛ ١٢ : ١٧؛ ١٣ : ١٤ و٣٥؛ ٢١ : ٤؛ ٢٦ : ٥٦؛ ٢٧ : ٩)، بينما نجدها مرتين فقط في مرقس ومرتين في لوقا.

يمكن أن نزيد على هاتين الصيغتين تلك التي نجدها في متى ٢٦ : ٥٤ : «ولكن كيف تتمّ الكتبُ التي تقول إنّ هذا ما يجب أن يحدث؟»، وخاصة ما نقرأه في متى ٥ : ١٧ : «لا تظنّوا أنّي جئت لأُبطل الشّريعة أو الأنبياء : ما جئت لأُبطل، بل لأُكمل».

نجد إذا هذه الصيغ في رواية طفولة يسوع (راجع أشعيا ٧ : ١٤؛ ميخا ٥ : ١ و٣)؛ هوشع ١١ : ١؛ إرميا ٣١ : ١٥)، وفي بداية رسالته العلنية (راجع أشعيا ٨ : ٢٣ و٩ : ١)، وفي سياق عظة الجبل بدون الاستشهاد بآية معينة : «ما جئت لأبطل، بل لأُكمل»، ولشرح معنى الأشفية التي قام بها (راجع أشعيا ٥٣ : ٤؛ ٤٢ : ١-٤)، ولتبيان أسلوبه في الأمثال (راجع أشعيا ٦ : ٩-١٠؛ مزمور ٧٨ : ٢)، عند دخوله إلى أورشليم (راجع زكريا ٩ : ٩)، عند اعتقال يسوع في بستان الزيتون بدون استشهاد واضح كما في متى ٢٦ : ٣١، وأخيراً لما مات يهوذا (راجع زكريا ١١ : ١٢-١٣).

في كلّ هذه الشواهد نجد فعل "يتمّ، يمتلئ، يكمل" في صيغة «وكان هذا ليتمّ ما قال الرّبّ على لسان النبيّ». والمقصود هو أنّ كلّ ما كان ينتظره شعب العهد القديم من مواعيد مسيحانية قد تمّ بالملء في يسوع. هذا هو المعنى حتى في غياب هذا الفعل عندما يرد أحد الشواهد من العهد القديم، والأمثال على ذلك كثيرة حتى لا تخلو صفحة من آية من العهد القديم أو من تنويه غير مباشر إليه.

بهذا يظهر إنجيل متى كطريقة جديدة لقراءة الكتاب المقدّس على ضوء المسيح. على قارئ إنجيل متى أن يعرف أنّ في يسوع قد تحقّق بالكامل مخطط الله الخلاصي، حتى ولو كان هناك من يعارض ذلك أو لا يقبله.

في الخاتمة

نذكر كيف أظهر يسوع سرّه المسيحانيّ من خلال انتصاره على مظاهر الشرّ، ليكون بذلك قدوة للكنيسة ولكلّ مؤمن، خاصة في هذه الديار المقدّسة. الخطر الحقيقيّ الذي يهدّد أمن البشر هو الخطيئة والأنانية وانعدام العدل. لذلك على المسيحيّ أن يبشّر بالمسيح الرّبّ من خلال المجيء إليه والإتحاد به ليكون في مركز حياته، مما يتطلّب علاقة شخصية معه وليس مجرّد اسم نحمله ولا نعمل به. مُسح المسيحيّ في سرّ التثبيت ليشترك برسالة المسيح الملك والنبيّ والكاهن، أي ليصبح مسيحيّاً بالمسيح، فيُظهر مسيحيّته بالانتصار معه على الشرّ وبنشر ثقافة المحبّة والحياة في المجتمع. ابن داود، حسب متى، ليس ملكاً ينتصر على أعداء الشعب، بل السيّد المتواضع الذي يشفي المرضى ويعطي الحياة.

يساعدنا متى على اكتشاف سرّ المسيح من خلال قراءة جديدة لتاريخ الخلاص، وبالتالي يعلّمنا كيف نقرأ هذا التاريخ المقدّس ونسلّط الضوء على علامات الأزمنة.